والتكاليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى افامن الذين مكروا السيئات هذا اضمار
تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا بالنبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وبالقران في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد
على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تهديدهم اربعة امور الاول قوله
تعالى ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون فاذا هم
في بطنها لا يقدرون على نوع تقليب بمتابعة ولا عجزها الثاني قوله
تعالى او ياتيهم العذاب على غير تلك الحال من حيث لا يشعرون
به فياتيهم بغتة فيهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام الثالث قوله
تعالى او ياخذهم اي الله يعذبهم في حالة تقلبهم ومسافرتهم حاجة
وقوامهم مستقيمة وفي تفسير هذا التقليب وجوه اولها انه تعالى
ياخذهم بالعقوبة في اسفارهم فانه تعالى قادر على اهلاكهم في
السفر كما انه قادر على اهلاكهم في الحضر فما هم بمعجزين اي بفائتين
العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث
كانوا ثانيها انه تعالى ياخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم
وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وثالثها ان الله تعالى ياخذهم في
حال ما يتقلبون في قضايا احكامهم فيحول الله بينهم وبين اتمام
تلك الحيل وحمل لفظ التقليب على هذا المعنى ماخوذ من قوله تعالى
وقلبوا لك الامور فانهم اذا قلبوها فقد تقلبوا فيها الامر الرابع
قوله تعالى او ياخذهم على تخوف وفي تفسير التخوف قولان الاول
التخوف تفعل من الخوف يقال تخوفت الشيء وتخوفته والمعنى انه تعالى
لا ياخذهم بالعذاب اولا بل يخيفهم اولا ثم يعذبهم بعده وتلك
الاخافة هو انه تعالى يهلك قرية فتخاف التي تليها فياتيهم العذاب
والثاني

والثاني التخوف بمعنى التنقص اي الله تعالى ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم
واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه
قال على المنبر ما تقولون في هذه الاية فسكتوا فقال شيخ من هذيل
هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير تخوف اي تنقص الرحل اي رحل ناقته
منها تامكا اي سناما قردا اي مرتكما ومرتفعا وهو بسكون الراء كما
تخوف عود النبعة السفن والنبعة بالفتح واحدة النبع وهو شجر
يتخذ منه القسي والسفن بفتح السين والفاء ما ينحت به الشيء وهو فاعل
تخوف ومفعوله عود فقال عمر عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر
الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ومعنى البيت ان رحل ناقته
ينقص سنامها المرتفع المتراكم كما ينقص السفن عود النبعة فان
ربكم اي المحسن اليكم باهلاك من يريد وابقاء من يريد وقوله تعالى
لرؤف قراه ابو عمرو وشعبة وحمزة بالقصر والباقون بالمد ومعناه
بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بنوع وسيلة وكذا من قاطعه ثم قاطعه
واليه اشار بقوله رحيم اي حيث لم يعاجلهم بالعذاب ولما خوف سبحانه
وتعالى المشركين اتبعه بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب اردفه
بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي
وتدبير احوال الارواح والاجسام ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة
القاهرة والقوة الغير المتناهية لا يعجز عن ايصال العذاب اليهم على
احد تلك الاقسام الاربعة بقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من
شيء اي من الاجرام التي لها ظل كشجر وجبل تتفيؤ اي تميل ظلاله عن
اليمين والشمائل جمع شمال اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه
قرا حمزة والكسائي بالتاء على خطاب على نسق ما قبله والباقون بالياء

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)